رياض الحجيج

تأليف

شائع بن محمد الغبيشي

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:

رياض الحجيج جولة إيمانية تربوية، يمتع فيها الوافد إلى الله عَزَّوَجَلَّ قلبه وفكره، يتذوق من خلالها لذة الأنس ونعيم القرب، فينشرح صدره وتسعد روحه، وينعم بلذة الإيمان وسعادة الحياة التي عبر عنها القرآن بالحياة الطيبة حين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب (الآيات ٧٠-٧١).

(٤) سورة النحل ٩٧.

وعبر عنها السلف الصالح بقولهم: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: «وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه».

حتى قال بعضهم في وصف تلك السعادة : «إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب».[١]

فهذه الرياض هي جنة الدنيا التي قال عنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة»[٢]

هدف هذه الرياض أن تحج ببدنك وقلبك تتنقل من روضة إلى روضة تتذكر بها سير الأولين وسنن السابقين وكلك أمل أن تلحق بهم وتنضم إلى ركبهم فتذوق ما ذاقوا.

رياض الحجيج تعرفك السبيل إلى ميلاد القلب وحياة الروح والخلاص من ركام الذنوب وثقل الخطايا.

رياض الحجيج ترسم لك طريق الحج المبرور الذي يكون مهرك لجنة عرضها السموات والأرض.

رياض الحجيج تحلق بك في عالم المشتاقين وتظللك بأفياء العاشقين فتملأ القلب شوقًا إلى ما اشتاقوا إليه.

رياض الحجيج تستكشف لك أسرار رحلة الحجيج ودروسها وحكمها وتأخذ بك لتذوق لذة تلك المعاني لتصبح واقعًا تعيشه في حياتك.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب «ص: ٤٨»

(٢) المصدر السابق.

هذه بعض معالم رياض الحجيج أضعها بين يديك لتكون حاديك في رحلتك إلى بلاد الأمن والبركات والأنس والمسرات بلاد أفراح الدنيا وطريقك لأفراح الآخرة .

اللهم تقبلها بقبول حسن وانفع بها كاتبها وقارئها واجعلها خالصة لوجهك الكريم، أنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك .

شائع بن محمد الغبيشي

مشرف تربوي بإدارة التعليم بمحافظة القنفذة

البريد الإلكتروني : shaei1406@gmail.com

الجمعة ٢٢ /٧/ ١٤٣٧ هـ

غنائم الوفود

حقيقة الحج هو استزارة الرب لأحبابه ... أوفدهم إلى كرامته ودعاهم إلى فضله وإحسانه، ليسبغ عليهم من النعم والكرامات وأصناف الهبات ما لا تدركه العبارة ولا يحيط به الوصف؛ فنوع لهم الأنساك والمشاعر لينوع لهم الإحسان، ونقلهم من كرامة إلى كرامة، ومن مائدة من موائد فضله إلى مائدة من موائد كرمه[١]، فالوافد إلى ربه عَزَّوَجَلَّ يفد إليه وكله طمع أن ينال من فيض بره وعظيم كرمه وجزيل هباته، كيف لا وهو ضيف الرحمن، كيف لا وهو يفد إلى بيته الذي فيه من الهبات والكرامات ما يجعل القلوب تحن إليه وتتعلق به إذ فيه خاصية الجذب لقلوب المؤمنين فهو مغناطيس الأفئدة قال تعالى :﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[٢] جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطرا، ولو ترددت إليه كل عام .[٣]

جُـعِـلَ الْـبَـيْـتُ مَـثَـابًـا لَـهُـمْ لَيْسَ مِنْهُ الدَّهْرَ يَقْضُونَ الْوَطَرْ

إن الحج ... استزارة المحب لأحبابه، وإيفادهم إليه، ليحظوا بالوصول إلى بيته، ويتمتعوا بالتنوع في عبوديته والذل له والانكسار بين يديه، وسؤالهم جميع مطالبهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية في تلك المشاعر العظام والمواقف الكرام، ليجزل لهم من قراه وكرمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وليحط عنهم خطاياهم ويرجعهم كما ولدتهم أمهاتهم، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.[٤]

---

(١) الإمام السعدي، مجمع الفوائد واقتناص الأوابد ص ٢٣٤ .

(٢) سورة البقرة ١٢٥.

(٣) الإمام ابن كثير تفسير القرآن العظيم «١/ ٤١٣»

(٤) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب «ص: ١٤٨»

فيا لله ما أجل العطايا وما أجزل الهبات وما أعظم البركات من ربٍ برٍ كريم جواد وسعت رحمته كل شيء له خزائن السموات والأرض فطوبى لمن ظفر بالوفود إلى ربه عَزَّوَجَلَّ ليحوز تلك الغنائم التي نذكر بعضها في الأسطر القادمة وهي:

❁ أولاً: بركات البيت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ...﴾[١] والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق[٢]

- **فمن البركات التي يحوزها من وفد إلى بيت الله:**

١) **البركة في البدن** وسلامته من الآفات والأدواء والأمراض فإن الوفود إلى بيت الله يكسب الوافد قوة وصحة وعافية. ففي هذا البيت ماء زمزم الذي فيه شفاء لأسقام البدن وعلله فهو كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خيرُ ماءٍ على وجهِ الأرضِ ماءُ زمزمَ، فيه طعامٌ من الطعمِ وشفاءٌ من السقمِ** ...»[٣].
وقال عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**ماء زمزم لما شُرِب له**»[٤].

٢) **البركة في العمر،** فيبارك الله في أيام العبد وسنوات عمره فيعمل فيها من الأعمال ما يعجز عنه غيره ويكون منتجاً نافعاً لنفسه وغيره.

٣) **البركة في العلم** خاصة من اشتغل في الحج بتعليم الناس ودعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإن الله يفتح له من مغاليق العلم ما لا يعلمه إلا هو سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران ٩٦.
(٢) الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد «٢ / ٤٦١ »
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني
(٤) رواه الإمام أحمد والدارقطني وحسنه الألباني

٤) **البركة في الرزق،** فيبارك الله له في ماله ويرزقه من حيث لا يحتسب وينفي عنه أسباب الفقر والحاجة .

٥) **البركة في الذرية،** بأن يجعلها ذرية صالحة مستقيمة على أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

من وفد إلى بيت الله عَزَّوَجَلَّ يلتمس هذه البركات فسيناله منها أوفر الحظ والنصيب، أفاض الله علينا من بركاته.

❁ ثانياً: الهداية :

وصف الله بيته بقوله: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[١] أي أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى.[٢] فمن وفد إلى بيت الله زاده الله هدى وصلاحًا واستقامة وأفاض عليه موارد التوفيق وثبته وسدده وكم من أناس وفدوا إلى بيت الله وقد كانوا أبعد ما يكونون عنه فقربهم سبحانه إليه بعد البعد وهداهم بعد الضلال تلك والله الغنائم .

❁ ثالثاً: الأمن :

تأمل قول الله جَلَّوَعَلَا لمن دخل بيته: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[٣] وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[٤]: فالوفود إلى بيت الله يحقق للعبد الأمن الفكري والنفسي والصحي، والأمن على النفس والمال، ويفيض الله على قلب العبد من الراحة والاستقرار والطمأنينة والأنس والسعادة والهناء مالا يخطر له على بال.

---

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) الإمام ابن القيم ، بدائع الفوائد (٢ / ٤٦١)

(٣) سورة آل عمران ٩٧.

(٤) سورة البقرة ١٢٥.

❁ رابعاً: اكتساب الحسنات الكثيرة ومحو السيئات الوفيرة:

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك، يكتب الله بها لك حسنة، ويمحو عنك بها سيئة وأما وقوفك بعرفة فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثًا غبراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج**[(١)]**، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك**»[(٢)].

❁ خامساً: نفي الفقر عن العبد:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[(٣)].

❁ سادساً: استجابة الدعاء:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي قال: «**الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم**»[(٤)].

---

(١) «رمل عالج» قال الطيبي: موضع بالبادية فيه رمل كثير «تحفة الأحوذي «٩/ ٢٤١»

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن خزيمة وصححه الألباني

(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان وحسنه الألباني

❁ سابعاً :الظفر بالضمان والحفظ الإلهي :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة في ضمان الله** عَزَّوَجَلَّ: **رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله، ورجل خرج حاجًا**»(١).

❁ ثامناً: الفوز بأجر الجهاد :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد. قال: «**لكن أفضل الجهاد حج مبرور**»(٢).

❁ تاسعاً: أجر تلبية الشجر والحجر :

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا**»(٣).

لطيفة: قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قيل: ما فائدة المسلم في تلبية الأحجار والشجر وغيرهما مع تلبيته؟

قلت: اتباعها إياه في هذا الذكر دليل على فضيلته وشرفه ومكانته عند الله تعالى إذ ليس اتباعُها إياه في هذا الذكر إلا لذلك. على أنه يجوز أن يكتب له أجر هذه الأشياء لأنها صدرت عنها تبعًا، فصار المؤمن بالذكر كأنه دالٌّ على الخير (٤)

---

(١) رواه أبو نعيم وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني
(٤) صحيح الترغيب والترهيب «٢/ ٢٣»

❁ عاشراً: العتق من النار:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**»(١).

❁ الحادي عشر: البشارة بالجنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ:** «**نَعَمْ**»(٢).

تلك بعض غنائم الوفود إلى بيت الله عَزَّوَجَلَّ فطوبى لمن ظفر بالوفود وفاز بالورود ولحق بركائب الراحلين وحُق للنفوس أن تتوق وللقلوب أن تشتاق.

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الطبراني، وحسّنه لغيره الألباني

ميلاد إلى الجنة

انبثاق الوليد وخروجه من بطن أمه إلى الدنيا يبعث على الفرح والسرور والغبطة، فكل من حوله يفرحون بمقدمه:

ولـدتـك أمـك يـا بـن آدم باكيًا والناس حولك يضحكون سروراً

يأسرهم فيه نقاء سريرته وبراءة نفسه وصفاء فطرته التي خلقه الله عليها لم تدنس بمعصية ولم تلوث بذنب فما أجمل قهقهته وابتسامته، وما أروع دلاله وحركاته، ولكن كل هذه الأحداث تمر به وهو لا يدرك منها شيئًا فهو لا يشعر باللذة التي يشعر بها من حوله ممن فرحوا بمقدمه .

والسؤال هل يمكن للكبير أن يولد من جديد؟ هل يمكن أن يعود إليه ذلك الصفاء والنقاء؟ وهل يمكن لفطرته أن تعود زكية سوية كما كانت يوم خرج من بطن أمه؟ هل يمكن له أن يتذوق لذة ميلاده الجديد ؟

نعم يمكن أن يولد العبد مرة أخرى ويعود إليه الصفاء والنقاء، وذلك من عظيم فضل الله ومنّته وجميل بره وإحسانه، استمع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصف هذا الميلاد فيقول: «**فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك**»(١).

إن هذا الميلاد يختلف عن ميلاد العبد من بطن أمه، فهو أعظم وأجل والفرحة به ينبغي أن تكون أشد من فرحنا بالميلاد الأول، لأنه ميلاد يقود إلى جنة الله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :«**الْعُمْرَةُ إِلَى**

(١) رواه عبد الرزاق والطبراني وحسنه الألباني

الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[١].

والسؤال هنا: متى يكون الحج ميلاداً جديداً للعبد يقوده إلى جنة عرضها السموات والأرض ؟

تعال معي أخي المبارك نستعرض بعض نصوص الوحيين وبعض أقوال العلماء في الحج المبرور لنتعرف كيف نولد هذا الميلاد؟ :

١) قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[٢]

٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[٣].

٣) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أي الأعمال أفضل قال: **«العج والثج»**[٤].

٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ « قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بِرُّ الْحَجِّ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ»**[٥].

٥) **قال ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الحج المبرور فقيل هو الذي لا رياء فيه

---

(١) رواه مسلم

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم

(٤) رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

(٥) رواه الحاكم والإمام أحمد وحسنه الألباني.

ولا سمعة ولا رفث فيه ولا فسوق، ويكون بمال حلال والله اعلم وبالله التوفيق .[١]

٦) **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصح الأشهر في المبرور: هو الذي لا يخالطه إثم مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل هو المقبول، ومن علامة القبول أنه يرجع خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي، وقيل هو الذي لا رياء فيه، وقيل الذي لا يتعقبه معصية وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخل الجنة.[٢]

٧) **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالحج المبرور ما اجتمع فيه أعمال البر مع اجتناب أعمال الإثم فما دعا الحاج لنفسه ولا دعا له غيره بأحسن من الدعاء بأن يكون حجه مبروراً ولهذا يشرع للحاج إذا فرغ من أعمال حجه وشرع في التحلل من إحرامه برمي جمرة العقبة يوم النحر أن يقول: «اللهم اجعله حجا مبروراً وسعيا مشكوراً وذنباً مغفوراً» وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عمر من قولهما ... وكذلك يدعى للقادم من الحج بأن يجعل الله حجه مبرورا.[٣]

٨) **قيل الحج المبرور:** هو الذي عمل فيه الحاج الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات.

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد «٢٢/ ٣٩»

(٢) تنوير الحوالك «١/ ٢٥٢ »

(٣) لطائف المعارف ص ٦١

❁ و نخلص مما سبق أن العبد يمكن أن يكون حجه مبروراً إذا اتصف حجه بالتالي :

أولاً: تحقيق توحيد الله والبعد عن الشرك، فالحاج يلهج بالتهليل والتوحيد من بداية المنسك إلى نهايته شعاره «**لبيك اللهم لبيك** ....» وشعاره يوم عرفة أفضل ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبيون من قبله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» وشعاره يوم العيد وأيام التشريق: «**الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد**».

ثانياً: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ والبعد عن الرياء والسمعة وقد كان أول ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند إهلاله بالحج: «**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»(١).

ثالثاً: متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتعرف على هديه في الحج والاهتداء به فقد هتف بنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قائلاً: «**لتأخذوا مناسككم**»(٢) ومن أجمل ما كتب في ذلك كتاب أحوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحج للبعداني ومن أفضل كتب أحكام الحج المختصرة الكتاب المبارك الذي ألفه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ التحقيق والإيضاح.

رابعاً: التزود من التقوى والبعد عن الرفث والفسوق والتوبة من جميع الذنوب والمعاصي ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ﴾(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني
(٢) رواه مسلم
(٣) سورة البقرة ١٩٧.
(٤) رواه مسلم

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»: أن الإنسان إذا حج واجتنب ما حرم الله عليه من الرفث وهو إتيان النساء، والفسوق وهو مخالفة الطاعة، فلا يترك ما أوجب الله عليه، ولا يفعل أيضاً ما حرم الله عليه، فإن خالف فهذا هو الفسوق. فإذا حج الإنسان ولم يفسق ولم يرفث فإنه يخرج من ذلك نقياً من الذنوب، كما أن الإنسان إذا خرج من بطن أمه فإنه لا ذنب عليه، فكذلك هذا الرجل إذا حج بهذا الشرط فإنه يكون نقياً من ذنوبه».[١]

خامساً: الحرص على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾[٢] فذكر الله هو الغاية العظمى من الحج فإنما شرع الحج لإقامة ذكر الله

سادساً: اللهج بالتلبية ورفع الصوت بها فعن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وعن شماله من شجر وحجر حتى تنقطع الأرض من هنا وهنا**»[٣].

و في رواية: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أي الأعمال أفضل قال: «**العج والثج**»[٤].

سابعاً: ملازمة الاستغفار والإكثار منه خاصة في ختمة منسك الحج قال تعالى:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين «٢١/ ٢٢ »

(٢) سورة البقرة ١٩٨.

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني وصححه الألباني

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١].

ثامناً: الإكثار من الدعاء واللهج به والحرص على أدعية الأنبياء وتتبع حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك والإكثار من قول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٢]

تاسعاً: الإحسان إلى الناس بالقول والفعل فقد سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بِرُّ الْحَجِّ؟ قَالَ: «**إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ**»[٣].

عاشراً: الحرص على النفقة الحلال، فإن من أعظم ما ينفقه العبد من ماله ما كان في الوفود إلى بيت الله فعن بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ**»[٤].

وما أنفس كلام الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مثل هذه النفقة حيث قال: فأفضَلُ مَا أُنفِقَتْ فِيهِ الأَمْوَالُ، وأعظَمُه عَائِدةً، وأكثره فَوَائِد إِنفَاقهَا في الوُصُولِ إِلَى المحبُوبِ وإِلَى مَا يحبُّه المحبُوبُ، ومَعَ هذا فَقْد وَعَدَهُم بإخلاف اَلنَّفَقَة، والبَرَكَةِ في اَلرِّزْق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ ﴾[٥].

وأعظمُ مَا دَخَلَ في هَذَا الوَعدِ مِنَ الكَرِيم الصَّادِقِ إنفاقها في هَذَا الطريق، وأفضَلُ ما ابتَذَلَ به العَبدُ قوَّتَهُ واستَفرَغَ له عَمل بَدَنِه هَذِه اَلأَعْمَال الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ الأَعمَارِ.

---

(١) سورة البقرة ١٩٩.

(٢) سورة البقرة ٢٠١.

(٣) رواه الحاكم والإمام أحمد وحسنه الألباني.

(٤) رواه الإمام أحمد وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٥) سورة سبأ: ٣٩.

فحَقِيقَةُ عُمرِ العَبدِ مَا قَضَاهُ فِي طَاعَةِ سَيِّدِهِ، وَكُل عَمَلٍ وتَعَبٍ ومشقة لَيست بِهَذَا السَّبِيلِ فَهِيَ عَلَى العَبدِ لا لِلعَبدِ. ثُمّ َ مَا في ذَلِكَ مِن تَذَكُّرِ حَالِ العَابِدِينَ وأَصفِيَائِهِ مِنَ الأنبيَاءِ والمرسَلين.(١)

فينبغي للحاج أن يحرص على النفقة الطيبة الحلال ويحذر كل الحذر من النفقة الحرام فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾(٢) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا** ...»(٣).

و أعظم نفقة ينبغي أن يحرص المسلم على أن تكون طيبة حلالاً النفقة التي يحج بها إلى بيت الله الحرم وما أجمل قول القائل:

إذا حججت بمال أصله دنس ... فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة ... ما كل من حج بيت الله مبرور

تلك بعض علامات الحج المبرور، فدونك أيها الراغب في ميلاد الجنان هذه المعالم عض عليها بالنواجذ لتنال الفوز بهذا الميلاد .

أسال الله الحي القيوم أن يرزقنا حجة مبرورة نولد بها من جديد تخلصنا من أدران الذنوب والخطيئة إنه سميع قريب مجيب .

(١) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب «ص: ١٤٨»
(٢) سورة البقرة ٢٦٧.
(٣) رواه مسلم

أشواق

ما سر انجذاب القلوب إلى بيت الله الحرام؟ لماذا كلما زاره العبد ازداد له شوقًا وبه تعلقًا وعليه إقبالاً؟ لقد صدق من وصفه بمغناطيس القلوب فما سر هذه الأشواق؟

تعالوا معنا نتعرف على إجابة هذا السؤال ثم نعرض بعض القصص والأخبار عن أشواق الصالحين لبيت الله الحرام يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[1] ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2]

أذن إبراهيم في الناس بالحج فأجابوا، ودعاهم فلبوا ... جاءوا إليه رجالاً على أرجلهم، وركبانا على كل ضامر، جاءوا للحج من كل فج، الشوق يحدوهم والرغبة تسوقهم .. فهل مرَّ بك ركب أشرف من ركب الطائفين، وهل هزَّك نغم أروع من تلبية الملبّين.

ها هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي لنا أشواق نبيين من أنبياء الله عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فعندما مر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بوادي الأزرق في طريقه إلى البيت الحرام فسأل أصحابه: «**أَيُّ واد هذا؟**» قالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «**كأني أَنظر إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو هابط من الثنية وله جُؤَارٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالتلبية**»، حتى أَتى على ثَنِيَّة هَرْشاء، فقال: «**أي ثَنِيَّة هذه؟**» قالوا: ثنية هرشاء. قال: «**كأني انظر إلىَ يونس بن متَّى على ناقةٍ**

---

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

حمراء جَعْدة، عليه جُبَّةٌ من صوف، خطام ناقته خُلْبَة[١] وهو يلبِّي»[٢].

فلله ما أروع الذكريات وما أجمل الأشواق، وسبحان من قذف في قلوب العباد الحب والحنين إلى بيته الحرام، فلا القلب يهنأ ولا العين تقر إلا بزيارة هذا البيت، والتنقل في مشاعره فسبحان من جعله مثابة للناس.

«إن من عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسِفاً لفراقها متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة، ولا كابد محنة، ولا نصباً. إنه لأمر إلهي وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين، ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين: الدنيا والأخرى ؛ فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه[٣]

(١) قال هشيم: يعني لَيف

(٢) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

(٣) رحلة ابن بطوطة «١/ ٩٨ »

الآن حرك قلبك برحلة الأشواق، تجول في رياض الصالحين وأخبار المشتاقين من السلف والخلف مع بعد الشقة، وصعوبة الترحال، وقلة الظهر، وشدة الحال.

إنه حديث الشوق إلى أرض الرحمات، الشوق إلى أرض العطايا والهبات فحق للنفوس أن تتوق وحق للأرواح أن تحلق أملاً في الوصال، فخذ من خبرهم ما يبعث فيك الرغبة، ويحرك في قلبك الشوق تعال معي نستعرض بعض حديث الأشواق :

١) **قدم ابن جريج** وافداً على معن بن زائدة لدين لحقه فأقام عنده إلى عاشر ذي القعدة فمر بقوم تغني لهم جارية بشعر أمية بن ربيعة :

هيهات من أمةِ الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
تالله قولي له في غير معتبة ... ما ذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ... فما أصبت بترك الحج من ثمنِ

قال فبكى ابن جريج وانتحب وأصبح إلى معن وقال: إن أردت بي خيراً فردني إلى مكة ولست أريد منك شيئًا قال: فاستأجر له أدلاء وأعطاه خمسمائة دينار ودفع إليه ألفًا وخمسمائة فوافى الناس يوم عرفة.[١]

٢) **حج الشبلي،** فلما وصل إلى مكة جعل يقول: أبطحاء مكة هذا الذي أراه عيانًا وهذا أنا ؟! ثم غشي عليه، فأفاق وهو يقول:

هذه دارهم وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق[٢]

---

(١) / سير أعلام النبلاء «٦ / ٣٣٦»

(٢) / مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن «ص ٣٨٩»

٣) **عن عبد العزيز بن أبي روّاد قال:** دخل مكة قومٌ حجاج ومعهم امرأة وهي تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة ترينه . فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك، أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربي، بيت ربي، حتى وضعت جبهتها على البيت . فوالله ما رفعت إلا ميتة.[١]

٤) **خرجت أم أيمن بنت علي – امرأة أبي علي الروذباري** – من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء والجِمال تمر بها وهي تبكي وتقول: وا ضعفاه، وتنشد على إثر قولها:

فقلت: دعوني واتباعي ركابكم ... أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد
وما بال زعمي لا يهون عليهم ... وقد علموا أن ليس لي منهم بد

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت ؟!![٢]

٥) **وهذا ابن السيد البطليوسي تعبث بقلبه الأشواق فينشد قائلاً:**

أمكةُ تفديكِ النفوسُ الكرائمُ ... ولا بَرِحت تنهلُّ فيك الغمائمُ
وكُفتُ أكفُّ السوء عنك وبُلِّغت ... مُناها قلوبٌ كي تراك حوائمُ
فإنَّك بيتُ اللَهِ والحرمُ الذي ... لِعزَّتِهِ ذل الملوكُ الأعاظمُ
وقد رُفِعت منك القواعدُ بالتُقى ... وشادتك أيدٍ بَرَّةٌ ومعاصمُ
ومن أين تعدوك الفضائلُ كلُّها ... وفيك مقامات الهدى والمعالمُ
ألهفي لأقدارٍ عدت عنكِ همَّتي ... فلم تنتهض منّي إليك العزائمُ

---

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف ابأماكن ص ٣٧٨
(٢) المصدر السابق «ص ١٢١ »

فيا ليت شعري هل أُرى فيك داعيًا ... إذا ما دعت للَه فيك الغمائمُ
وهل تمحُوَن عنّي خطايا اقترفتُها ... خطى فيك لي أو يعملات رواسمُ
وهل لي من سُقيا حجيجك شَربةٌ ... ومن زمزم يُروي بها النفسَ حائمُ
وهل ليَ في أجر المُلبّين مَقسِمُ ... إذا بُذلت للناس فيكِ المقاسمُ
وكم زار مغناكِ المعظمَ مُجرِمٌ ... فحطَّت به عنه الخطايا العظائمُ
ومن أين لا يُضحي مُرجّيك آمنًا ... وقد أمِنَت فيك المَها والحمائمُ
لئن فاتني منك الذي أنا رائمٌ ... فإنَّ هوى نفسي عليك لدائمُ
وإن يحمِني حامي المقادير مقدِمًا ... عليك فإني بالفؤاد لقادمُ
عليكِ سلامُ اللَهِ ما طاف طائف ... بكعبتكِ العُليا وما قام قائمُ
إذا نَسَمٌ لم تَهدِ عَنّي تَحِيةً ... إليكِ فمُهديها الرياحُ النواسمُ[1]

٦) وهذا أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الله بْنُ عُثْمَانَ النَّحْوِيُّ يصف حال بعض أهل الْمَغْرِبِ فِي الشَّوْقِ إِلَى مَكَّةَ فينشد قائلاً :

يحن إلى أرض الحجاز فؤادي ... ويحدو اشتياقي نحو مكة حادي
ولي أمل ما زال يسمو بهمتي ... إلى البلدة الغراء خير بلاد
بها كعبة الله التي طاف حولها ... عباد هم لله خير عباد
لأقضي فرض الله في حج بيته ... بأصدق إيمان وأطيب زاد
أطوف كما طاف النبيون حوله ... طواف قياد لا طواف عناد
وأستلم الركن اليماني تابعًا ... لسنة مهدي وطاعة هادي
وأركع تلقاء المقام مصليًا ... صلاة أرجيها ليوم معاد
وأسعى سبوعًا بين مروة والصفا ... أهل لربي تارة وأنادي

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم «٢/ ٢٧» وقلائد القياع ص ٢٠٠

وآتي منى أقضي بها التفث الذي ... يتم به حجي وهدي رشادي
فيا ليتني شارفت أجبل مكة ... فبت بواد عند أكرم وادي
ويا ليتني رويت من ماء زمزم ... صدا خاله بين الجوانح صادي[١]

٧) هذا يحيى بن بقي أبو بكر المعروف بالسلاوي أضناه الشوق إلى بيت الله الحرام وتعذر عليه الوصول إليه فأطلق الزفرات والآهات حزنًا على عدم المثول في تلك البقاع وتمنى أنه التربة التي تمر عليها عيس الحجيج فينشد قائلاً :

يا حُداة العيس[٢] مَهْلًا فعسى ... يبلغُ الصبُّ لديكم أمَلا
لا أخاف الدهر إلا حادياً ... ظَلْتُ أخشاه وأخشى الجَمَلا
أودعوني حُرَقًا إذ ودّعوا ... غادروا القلب بها مشتعلا
آهِ من جسم غدا مُستوْطنًا ... وفؤادٍ قد غدا مُرتحِلا
شُعْبة شَرْقا وأخرى مَغْرِبًا ... منْ لهذين بأن يشتملا
كيف أنتمْ سمح الله لكمْ ... كيْفَ ودعتمْ هناك الرُّسَلا
كيف لم تنضج قلوبٌ حُرقا ... كيف لمْ تجر عيونٌ هَمَلاَ؟
لَيْتَ أني تربَةُ الوادي إذا ... مرتِ العيسُ لثمتُ الأرْجُلاَ[٣]

وإذا كان التاريخ قد حفظ قصصًا من أخبار المشتاقين الذين تقطعت قلوبهم شوقًا للبيت ورغبة في الحج، ففي عصرنا الحاضر قصص لأقوام لم تلههم تجارة ولم تفتنهم حضارة، فسبحان من يلقي الشوق والرغبة في قلب من شاء من عباده فهاكم بعض قصصهم :

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث «ص: ٤٤٦»
(٢) العيس: الإبل البيض
(٣) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس «١/ ٤٩٩ »

١) يروي الشيخ أحمد الصويان قصة عجيبة للشيخ الحاج عثمان دابو رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جمهورية جامبيا في أقصى الغرب الإفريقي يقول: زرته قبل موته في منزله المتواضع في قريته الصغيرة قرب العاصمة بانجول وقد تجاوز الثمانين من عمره، وحدثني عن رحلته الطويلة قبل خمسين عاماً إلى البيت العتيق، ماشياً على قدميه مع أربعة من صحبه من بانجول إلى مكة.

قال: لما سألته عن الدافع لهذه الرحلة: تذاكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما ذهب بأهله إلى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، فقال أحدنا: نحن الآن شباب أقوياء أصحاء، فما عذرنا عند الله تعالى إن نحن قصَّرنا في المسير إلى بيته المحرم ؟! فهيَّجَنا واستحثنا على السفر مستعينين بالله تعالى.

خرج الخمسة من دُورهم وأصابهم في طريقهم من المشقة والضيق والكرب ما الله به عليم؛ فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع حتى كادوا يهلكون؟!

وكم من ليلة طاردتهم السباع، وفارقهم لذيذ المنام ؟! وكم من ليلة أحاط بهم الخوف من كل مكان؛ فقُطَّاع الطرق يعرضون للمسافرين في كل واد؟!

قال الشيخ عثمان: لُدغت ذات ليلة في أثناء السفر، فأصابتني حمَّى شديدة وألم عظيم أقعدني وأسهرني، وشممت رائحة الموت تسري في عروقي فكان أصحابي يذهبون للعمل، وكنت أمكث تحت ظل شجرة إلى أن يأتوا في آخر النهار، فكان الشيطان يوسوس في صدري: أَمَا كان الأَوْلى أن تبقى في أرضك؟! لماذا تكلف نفسك ما لا تطيق؟! ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط؟! فثقلت نفسي وكدت أضعف، فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي، فالتفتُّ عنه ومسحت دمعة غلبتني، فكأنه أحس ما بي! فقال: قم

فتوضأ وصلِّ، ولن تجد إلا خيراً بإذن الله فانشرح صدري، وأذهب الله عني الحزن، ولله الحمد.

كان الشوق للوصول إلى الحرمين الشريفين يحدوهم في كل أحوالهم ويخفف عنهم آلام السفر ومشاق الطريق ومخاطره، مات ثلاثة منهم في الطريق كان آخرهم في عرض البحر، واللطيف في أمره أن وصيته لصاحبيه قال لهما فيها: إذا وصلتما إلى المسجد الحرام، فأخبرا الله تعالى شوقي للقائه، واسألاه أن يجمعني ووالدتي في الجنة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الشيخ عثمان: فلما وصلنا إلى جدة مرضت مرضـًا شديداً وخشيت أن أموت قبل أن أصل إلى مكة المكرمة، فأوصيت صاحبي أنني إذا مت أن يكفنني في إحرامي، ويقربني قدر طاقته إلى مكة، لعل الله أن يضاعف لي الأجر، و يتقبلني في الصالحين.

مكثنا في جدة أياماً، ثم واصلنا طريقنا إلى مكة، كانت أنفاسي تتسارع والبِشْر يملأ وجهي، والشوق يهزني ويشدني، إلى أن وصلنا إلى المسجد الحرام.

وسكت الشيخ قليلاً.. وأخذ يكفكف عبراته، وأقسم بالله تعالى أنه لم ير لذة في حياته كتلك اللذة التي عمرت قلبه لمَّا رأى الكعبة المشرَّفة!

ثم قال: لما رأيت الكعبة سجدت لله شكراً، وأخذت أبكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الأطفال، فما أشرفه من بيت وأعظمه من مكان!

ثم تذكرت أصحابي الذين لم يتيسر لهم الوصول إلى المسجد الحرام فحمدت الله تعالى على نعمته وفضله عليَّ، ثم سألته سبحانه أن يكتب خطواتهم

وألا يحرمهم الأجر، وأن يجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.[١]

٢) **قال الشيخ إبراهيم الدويِّش**: ذكر لي أحد الثقات العاملين على استقبال الحجاج في مدينة جدة أن طائرة تحمل حجاجاً من إحدى الدول الآسيوية وصلت في ثلث الليل الأخير أحد الأيام. قال: كان أول الوفد نزولاً امرأة كبيرة السن فما أن وطئت قدماها الأرض إلا وخرَّت ساجدة. قال: فأطالت السجود كثيراً حتى وقع في نفسي خوف عليها. قال: فلما اقتربنا منها وحركناها فإذا هي جثة هامدة. فعجبت من أمرها وتأثرت بحالها فسألت عنها فقالوا: منذ ثلاثين سنة وهي تجمع المال درهماً درهماً لتحج إلى بيت الله الحرام.

٣) **ذكر الشيخ عبد الكريم الخضير** أن رجلاً من مدينة الرياض كان صائماً يوم عرفة فأبصر عبر الشاشة الجموع تتحرك إلى ربوع عرفة فحركه الشوق وغالبته الدمعة وحنَّ إلى تلك المشاعر فطلب من ابنه أن يلحقه بهم فتحرك من مدينة الرياض وأدرك الحجيج بعرفة.

فلله ما أعظم خبر النفوس الراغبة، والقلوب الطاهرة، ولم لا يعظم الشوق فيها، وتعظم الرغبة عندها والأجر عظيم، والرب كريم والغنيمة ميلاد إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أهل مهل قط ولا كبر مكبر قط إلا بشر بالجنة**»[٢].

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم**

(١) مجلة البيان العدد: ١٦٠ ذو الحجة ١٤٢١ - مارس ٢٠٠١

(٢) رواه ابو دَاوُدَ الطيالسي و حسنه الألباني

ولدته أمه»[1].

أسال العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد أن يرزقنا الوفود إلى بيته الحرام ويجعلنا من المقبولين بمنه وكرمه.

(١) رواه البخاري

مدرسة الحج

استوقفتني بعض المشاهد المؤثرة لشعيرة الحج تلك العبادة العظيمة وذلكم المنسك المبارك الذي منَّ الله به على أمة الإسلام فهو نفحة ربانية وهداية إلهية.

المشهد الأول :

تأملت جموع الحجيج وهم يفدون إلى بيت الله الشوق يحدوهم والأماني تصحب خطوهم فلا تسل عن حديث النفس بالوصال ولا تسل عما يرتسم على محيّاهم من فرحة تغمر الفؤاد وسرور يطفح على الوجه وبهجة تحيل الكون كل الكون من حولهم فرحًا وسروراً عندما يشرع أحدهم في الوفود ويلهج بالتلبية لبيك اللهم لبيك ... فلا تسل كم من دموع الفرح قد ذُرفت كيف لا وهو هتاف إلى بيت الله الحرام كيف لا وهم وفود إلى الله.

هتف المنادي فانطلق يا حادي ... وارفق بنا إن القلوب صوادي
تتجاذب الأشواق وجد نفوسنا ... ما بين خاف في الضلوع وباد
وتسافر الأحلام في أرواحنا ... سفراً يجوب مفاوز الآماد
ونطوف آفاق البلاد فأين في ... تطوافنا تبقى حروف بلاد
هتف المنادي فاستجب لندائه ... وامنحه وجدان المحب وناد
لبيك فاح الكون من نفحاتها ... وتعطَّرت منها ربوع الوادي
لبيك فاض الوجد في قسماتها ... وتناثرت فيها طيوف وداد
لبيك فاتحة الرحيل وصحبه ... هلا سمعت هناك شدو الشادي
هذا الرحيل إلى ربوع لم تزل ... تهدي إلى الدنيا براعة هاد
هذا المسير إلى مشاعر لم تزل ... تذكي المشاعر روعة الإنشاد

إنه الشوق إلى أرض الرحمات إنه الشوق إلى أرض العطايا والهبات فحق للنفوس أن تتوق وحق للأرواح أن تحلق أملاً في الوصال:

كم هزني الشوق يا خير الديار وكم ... عانيت بعدك وجدًا دائم السبب
إلا إليك، أرى الأشواق تقعد بي ... وعند ذكرك أشواقي تحلق بي
وعند ذكرك أنسى أنني بشر ... وكالملائك أحيا في المدى الرحب
فتبدعين كياني من تقى وهدى ... فلا أحس بما ألقاه من وصب
ما غير زورة بيت الله ترجع لي ... شباب روحي إذا امتدت بها يد النوب
ربي حنانيك فاكتبها وخذ بيدي ... كي يهتف القلب يا فوزي ويا طربي

و قد مر بك أخي المبارك في الصفحات الماضية بعض قصص المشتاقين إلى البلد الأمين :

❁ المشهد الثاني:

مشهد قوم لم يظفروا بهذا المنسك ولم يعدو العدة له أبصروا قوافل الحجيج وهي تفد على الله فلا تسل عن ما اعتراهم من الحزن والأسى والبكاء والنحيب كأني بأحدهم يخاطب قوافل الحجيج :

خذوني خذوني إلى المسجد ... خذوني إلى الحجر الأسود
خذوني إلى زمزم علَّها ... تبرد من جوفيَ الموقد
دعوني أحط على بابه ... ثقال الدموع وأستنفد
فإن أحيا أحيا على لطفه ... وإن يأتني الموت أستشهد

أي مشهد يبعث الحزن للقاعدين عن الوفود إلى بيت الله كمشهد قوافل الحجيج بحدائها الشجي وبمنظرها البهي فحق للقلوب أن تحزن وحق للجفون

أن تعاف الغمض وحق للعيون أن تذرف الدمع أسفًا على فوت الرحيل إلى أرض الحجيج.

يـا راحـلـيـن إلـى مـنـى بـقـيـادي ... هيجتموا يـوم الـرحـيـل فـؤادي
سـرتـم وسـار دليلكم يـا وحشتي ... الـشـوق أقلقني وصـوت الحادي
حرمتموا جفني الـمـنـام ببعدكم ... يـا ساكنين المنحنى والـوادي
و يلوح لـي مـا بين زمـزم والصفا ... عند المقام سمعت صوت منادي
و يـقـول لـي يـا نـائـم جـد الـسُـرى ... عـرفـات تجلوا كـل قلب صـادي
مـن نـال مـن عـرفـات نـظـرة ساعة ... نـال الـسـرور ونـال كـل مـرادي
تـالله مـا أحـلـى المبيت على منى ... في لـيـل عـيـد أبـــرك الأعـيـاد
ضحوا ضحاياهم وسـال دماؤها ... وأنـا المتيم قـد نـحـرت فـؤادي
لبسوا ثياب البيض شارات الرضا ... وأنـا الـمـلـوع قـد لبست سـوادي

❁ المشهد الثالث :

نظرت إلى المشاعر بعد غروب آخر يوم من أيام التشريق فهالني ما رأيت من حزن عظيم خيّم على وجهها الأبيض الوضاء، ودمعها يُهراق على خديها حزنًا على فراق ضيوفها ضيوف الرحمن، وفي المقابل أبصرت الضيوف والبعض منهم يجهش بالبكاء ويكثر النحيب على فراقها، فقلت في نفسي وقد اعتراني ما اعتراهما: ما أصعب لحظات الفراق كيف وهو فراق الحبيبين، ووداع العاشقين، قاطعت حديث النفس واتجهت إليهما قائلاً: هونا عليكما، وكفكفا دموعكما، وأقلا عليكما من البكاء، فعما قريب يكون اللقاء، فعجلة الأيام تهرول بسرعة مذهلة، كانت هذه الكلمات نعم السلوى لهما فتفرقا وبهما من الشوق ما لا يعلمه إلا الله.

تـداعـت رفـاقـا بالرحيل فما ترى ... سـوى دمـع عين بالدماء مزجنـاه

لفرقة بيت الله والحجر الذي ... لأجلهما صعب الأمور سلكناه
و ودعت الحجاج بيت إلهها ... وكلهم تجري من الحزن عيناه
فلله كم باك وصاحب حسرة ... يود بأن الله كان توفاه
فلو تشهد التوديع يوماً لبيته ... فإن فراق البيت مر وجدناه
فما فرقة الأولاد والله إنه ... أمر وأدهى ذاك شيء خبرناه
فمن لم يجرب ليس يعرف قدره ... فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه
لقد صدِّعت أكبادنا وقلوبنا ... لما نحن من مر الفراق شربناه
و والله لولا أن نؤمل عودة ... إليه لذقنا الموت حين فجعناه

بعد هذه المشاهد المؤثرة بادرني سؤال .... ما سر هذا الشوق؟ ولماذا كل هذا الحنين؟ لماذا يختص الحج بكل هذا؟ وما سر تعلق القلوب بهذه العبادة؟

❁ و الإجابة على هذه الأسئلة يطول شرحها لعلي أجملها في أمرين :

الأول: أن منسك الحج يرتبط بالوفود إلى بيت الله وهذا البيت فيه خاصية الجذب لقلوب المؤمنين فهو مغناطيس الأفئدة قال تعالى :﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على هذه الآية: ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[2] لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا، وهذه الإضافة

(١) سورة آل عمران ٩٦-٩٧.
(٢) سورة الحج ٢٦.

هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبًا له وشوقًا إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن أطلب برد ما ... بقلبي من شوق ومن هيمان
فو الله ما ازداد إلا صبابة ... ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ... ويا منيتي من دون كل أمان
أبت غلبات الشوق إلا تقربا ... إليك فما لي بالبعاد يدان
وما كان صدى عنك صد ملالة ... ولي شاهد من مقلتي ولسان
دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا ... فلبى البكا والصبر عنك عصاني
وقد زعموا أن المحب إذا نأى ... سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا ... دواء الهوى في الناس كل زمان
بلى إنه يبلى والهوى على ... حاله لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى ... بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار ولو ونت ... مطيته جاءت به القدمان

الثاني: أن هذه العبادة الجليلة مدرسة عظيمة تحمل في طياتها الكثير والكثير من الدروس والعبر التي يتربى عليها المسلمون جميعًا أفراداً وشعوبًا وأممًا فلو تتلمذ المسلمون على مدرسة الحج حق التتلمذ لبدل الله حالهم من بعد الذل عزة ومن بعد الخوف أمنًا وقل من يفيد من هذه المدرسة وقل من يعي دروسها وعبرها ولذا وجب بيان هذه الدروس وتجليتها للمسلمين علّهم يأخذون ولو بعض من تلك الدروس :

❁ أولاً: الحج تجديد للعهد مع الله

يستشعر الحاج أنه قد عاهد الله بقوله: «**لبيك اللهم لبيك**» ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئًا ويؤدي الواجبات التي أمر الله بها وينتهي عن كل ما نهاه الله عنه ويحذر من النكوص بعد الاستقامة ومن الحور بعد الكور.

ما أجمل أن يجعل الحاج حجه انطلاقة للطاعة على الدوام ويعقد العزم على ألا يعود إلى المعصية بعد أن لبى نداء ربه فقد قال لبيك لبيك يا ربي فقد أُبت إليك وانطرحت بين يديك أنا بك وإليك لبيك يا ربي فلن أعود إلى المعصية بعد إذ هديت:

إلـهـنـا مـا أعـدلـك ... مـلـيـك كـل مـن ملك
لـبـيـك قـد لـبـيـت لك ... لـبـيـك إن الـحـمـد لك
والملك لا شريك لك ... مـا خـاب عـبـد سألك
أنـت لـه حـيـث سلك ... لـولاك يـاربـي هلك
لـبـيـك إن الـحـمـد لك ... والـمـلـك لا شـريـك لك
والـلـيـل لـمّـا أن حلك ... والـسـابـحـات في الفلك
وكـل مـن أهـل لـك ... سـبـح أو لـبـى فـلـك
يـا مـخـطـأ مـا أغـفـلـك ... عـجـل وبـادر أجـلـك
واخـتـم بـخـيـر عملك ... لـبـيـك إن الـحـمـد لك
والملك لا شريك لك ... والـحـمـد والـنـعـمـة لك

❁ ثانياً: رحلة الحج تربية على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ:

تتجلى العناية بالتوحيد وبيان أهميته أن الحكمة من بناء البيت إنما هي

توحيد الله جَلَّوَعَلَا وجُعل قصدُ الناس إليه من أرجاءِ المعمورة لإذكاءِ شعيرةِ توحيد العبادةِ وخلوصها لله سبحانه لا شريكَ له: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[1]

والمتأمل للأعمال والأذكار التي يقوم بها الحاج خلال رحلة الحج يجد أنه يلهج بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ من أول منسكه إلى نهايته كما في حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في وصف حجة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**فأهل بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك**»[2].

فمدرسة الحج تدعو المسلم إلى أن يراجع نفسه في أمور كثيرة خالف فيها التوحيد فتدعوه هذه الرحلة لتصحيح مسار حياته والعودة به إلى التوحيد الخالص.

يردد الحاج ألفاظ التوحيد في أيام معدودات فتلامس شغاف قلبه فينبذ الشرك بجميع أنواعه فمن كان يدعو غير الله وينذر لغيره ويذبح لغيره ويطلب جلب النفع ودفع الضر من غيره سبحانه يتربى في مدرسة الحج على البراءة من ذلك كله وصرف جميع العبادات لله وحده فيتذوق صفاء التوحيد ونقاءه.

و لذا يجب على الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يستغلوا هذه الفرص العظيمة لدعوة الحجيج إلى توحيد الله ونبذ الشرك بجميع أنواعه وصوره.

---

(١) سورة الحج ٢٦

(٢) رواه مسلم

❁ **ثالثاً: التربية على الاقتداء والتأسي بالنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مدرسة الحج تربي المسلم على الاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعة هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع شؤون الحياة استجابة لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا عني مناسككم**» فهذا الحديث تربية للحاج على إلتزام هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما يأتي وما يذر، قال الله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...**﴾[1] فمدرسة الحج تربي المسلم على أن الخير له والفلاح في العودة إلى هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى أن تعود إلى ذلك الإرث العظيم لتستعيد عزها ومجدها المفقود.

ومـمـا زادني شـرفـا وفـخـرا وكـدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخـولـي تـحـت قـولـك يـا عـبـادي وأن صـيـرت أحـمـد لـي نبيا

في مدرسة الحج يتذوق المسلم لذة الاتباع ونعيم التأسي وحلاوة الاقتداء وينفك من أسر البدعة وقيودها وتنجلي عنه ظلمتها فيسعد بالنور بعد الظلمة وبالسعة بعد الضيق وباليسر بعد العسر فيحدث نفسه بترك جميع البدع وإعادة صياغة حياته من جديد يرتضع من لبان الوحي ويغترف من معين السنة فيرتوي بعد طول ظمأ ويحدث نفسه بري يوم القيامة يوم أن يرد على حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يهتف بالمتبعين لسنته: «**أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ**» فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

---

(١) سورة الأحزاب ٢١.

❁ رابعاً: الأخوة الإسلامية:

مدرسة الحج تربي على الأخوة الإسلامية فالحاج يستشعر معنى الأخوة الإسلامية، من خلال لقائه بإخوانه المسلمين من شتى بقاع الأرض، ومن كل قطر ومصر يراهم وقد تصافحت أيديهم وتآلفت قلوبهم، يظهر بعضهم لبعض المحبة، والعطف، والتعاون، والتسامح، شعارهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا المؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره**»[٢]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» **وشبك** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بين أصابعه**». رواه البخاري ومسلم[٣]

إنْ كِيْدَ مُطَّرَفُ الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاءٍ تالد
أو يفترق ماء الغمام فماؤنا ... عذبٌ تحدّر من غمام واحد
أو يختلف نسب يؤلف بيننا ... دينٌ أقمناه مقام الوالد

---

(١) سورة الحجرات ١٠.
(٢) متفق عليه
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٠١

❁ **خامساً :التربية على الوحدة الإسلامية :**

مدرسة الحج تربي الفرد والمجتمع والأمة والعالم الإسلامي على مبدأ من أعظم مبادئ هذا الدين ألا وهو مبدأ الوحدة الإسلامية فالحاج يدرك أن ... الحج شعار الوحدة فإن الحج جعل الناس سواسية في لباسهم وأعمالهم وشعائرهم وقبلتهم وأماكنهم، فلا فضل لأحد على أحد؛ الملك والمملوك، الغني والفقير، الوجيه والحقير، الكل في ميزان واحد فالناس سواسية في الحقوق والواجبات، وهم سواسية في هذا البيت، لا فضل للساكن فيه على الباد والمسافر، فهم كلهم متساوون في البيت الحرام، لا فرق بين الألوان والجنسيات، وليس لأحد أن يفرق بينهم.

وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، وحدة في العمل، وحدة في القول «الناس من آدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

أكثر من مليوني مسلم يقفون كلهم في موقف واحد، وبلباس واحد، لهدف واحد، وتحت شعار واحد، يدعون ربا واحدا، ويتبعون نبيا واحدا.. فأي وحدة أعظم من هذه [1]

والأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى الوحدة، خاصة في هذه الأيام العصيبة التي تكالبت فيها أمم الكفر على حرب الإسلام والمسلمين، والسعي الحثيث إلى زيادة تفكيكهم وتفريقهم وزرع العداوات بينهم، يأتي الحج ليذكرنا أننا أمة واحدة كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

(١) من مقال للدكتور يحيي اليحيي بعنوان «مقاصد الحج » بتصرف.

حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1]

وكما قال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[2]

وكما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[3]

مهما فصلت بيننا الحدود وزرعت بيننا العداوات واختلفت منا الألوان واللغات

فنحن أمة واحدة ونحن جسد واحد ونحن بنيان واحد قلوب ألف بينها الله عَزَّوَجَلَّ فكيف لا تتحد وتجتمع.

أنا الحجاز أنا نجد أنا يمن ... أنا الجنوب بها دمعي وأشجاني
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني
وفي ربا مكة تاريخ ملحمتي ... على ثراها بنينا العالم الفاني
في طيبة المصطفى عمري ويا ولهي ... في روضة المصطفى عمري ورضواني
النيل مائي ومن عمان تذكرتي ... وفي الجزائر إخواني وتطوان
فأينما ذكر اسم الله في بلد ... عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

❁ سادساً: التربية على العزة والقوة والشعور بالغلبة على مخططات الأعداء:

مدرسة الحج كما أنها تربي على الوحدة فهي بالمقابل تحدث هزيمة نفسية عظمى للكفار فهي تحبط كل محاولات تفريق المسلمين، وتغيّر قناعة الكفار في مدى نجاح خططهم لتفكيك المسلمين وتفريقهم، وتدخل عليهم الرعب والخوف

(١) سورة آل عمران ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال ٦٣.
(٣) سورة المؤمنون ٥٢.

والهلع من هذا الجمع الغفير الذي توحد في كل شيء، رغم تفرق البلدان، وتباين اللغات، واختلاف الألوان وتنوع الطبائع واللهجات، ويشعر المسلم بانتصاره على كيد أعدائه، تأمل بعض أقوال الأعداء وهم يفصحون عن بعض غيظ قلوبهم من مشهد الوحدة الذي يرسمه منسك الحج :

* **يقول أحد المنصّرين عن مدى جدوى التنصير في البلاد الإسلامية:** سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن واجتماع الجمعة الأسبوعي ومؤتمر الحج السنوي.[١]

* **ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»:** إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. [٢]

* **يقول القس سيمون:** إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية. [٣]

* **ويقول المبشر لورنس براون:** إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما

(١) إبهاج الحاج «٧٨»
(٢) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله «ص: ٤٢»
(٣) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله «ص: ٥٥»

إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير... ويكمل حديثه: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.[١]

ويقول ج. سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية.[٢]

*** يقولُ وزير المستعمرات البريطاني قبل سبعين سنة تقريباً، سنة ١٩٣٨م**

يقول: «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل فرنسا أيضاً، إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك، إننا في السودان ونيجيريا، ومصر، ودولٌ إسلامية أخرى شجّعنا، وكنّا على صواب، نمو القوميات المحلية، فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامي»[٣]

إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة لساستهم ومفكريهم التي تنضح بالبغض والكراهية للإسلام والمسلمين، والخوف من وحدتهم وعودتهم إلى دينهم، والحرص الشديد على بقاء المسلمين متخلفين علمياً وحضارياً، وتغييب هويتهم التي تميزهم عن غيرهم، وتشعرهم بالعزة والسيادة، تأمل معي هذا التصريح لمسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م حيث قال: ليست الشيوعية خطرا على أوروبة فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن

---

(١) المصدر السابق

(٢) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي «ص: ٣٨»

(٣) هموم داعية «ص: ٧٢»

عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر ... فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقوي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم. (١)

❁ سابعاً: الشعور بمعاناة المسلمين والسعي إلى إزالتها أو تخفيفها:

تُربينا مدرسة الحج على أن نتألم لآلام المسلمين في كل صقع من أصقاع الأرض مهما شطت بنا الديار واختلفت الأوطان فنحن جسد واحد، عن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

وفي رواية عند مسلم «**المسلمون كرجل واحد . إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**»

---

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله «ص: ٤١»

(٢) رواه البخاري ومسلم

و عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس**»(١).

تأتي مدرسة الحج لتزيل العزلة الشعورية التي يعيشها المسلمون حيال قضاياهم ومشاكلهم وآمالهم وآلامهم وتبدد الحصار والتعتيم الإعلامي المفروض على المسلمين.

يأتي الحج فيلتقى المسلم بإخوانه المسلمين من جميع بقاع الأرض يعايشهم ويتحسس أخبارهم ويشاركهم همومهم وأفراحهم وأتراحهم ويسمع شكايتهم فينقلها إلى إخوانه المسلمين فيتجاوبون معها همًا وأرقًا ويسعون جاهدين لنجدة إخوانهم ومد يد العون لهم

إذا اشتكى مسلم في الهند أرقني ... وإن بكى مسلم في الصين أبكاني
ومصر ريحانتي والشام نرجستي ... وفي الجزيرة تاريخي وعنواني
وفي العراق أكف المجد ترفعني ... عن كل باغ ومأفون وخوان
ويسمع اليمن المحبوب أغنيتي ... فيستريح إلى شدوي وألحاني
ويسكن المسجد الأقصى وقبته ... في حبة القلب أرعاه ويرعاني
أرى بخارى بلادي وهي نائية ... وأستريح إلى ذكرى خراسان
شريعة الله لمت شملنا وبنت ... لنا معالم إحسان وإيمان

❁ ثامناً: التربية على ذكر الله :

مدرسة الحج تربي الحاج على ذكر الله، فالذكر هو أول المقاصد التي أرادها

(١) رواه أحمد

الله من عباده في الحج قال تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[١].

ورحلة الحج من بدايتها إلى نهايتها ذكر لله عَزَّوَجَلَّ، فالحاج يذكر الله بالتلبية، وخلال الطواف، وخلال السعي، ويصعد الحاج إلى عرفات ليدعو الله ويذكره، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[٢].

ويغادر الحاج عرفات إلى مزدلفة، إلى المشعر الحرام ليذكر الله، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[٣].

وهذا ما صنعه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جداً**»[٤].

وهو ما صنعه أصحابه من بعده قال سالم: كان عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقدم ضعفة أهله، فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بليل فيذكرون الله ما بدا لهم ثم يرجعون[٥].

---

(١) سورة الحج ٢٧-٢٨.
(٢) رواه الترمذي
(٣) سورة البقرة ١٩٨-١٩٩.
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البخاري .

وأيام منى أيام ذكر لله، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾(١).

وإذا ذبح الحاج هديه ذكر الله قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾٤(٢) وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾(٣). وفي حديث نُبَيشَة الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله**»(٤).

هذه دورة مكثفة للحاج في لزوم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يتلذذ خلالها الحاج بطعم المناجاة ويأنس بذكر الله عَزَّوَجَلَّ يخرج من هذه الدورة وقد تعلقت نفسه بالذكر ورطب لسانه به، فيداوم على ذكر الله ما بقي في حياته بقية.

❁ تاسعاً: التربية على مخالفة المشركين والبراءة منهم

قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾(٥) فالحج فرصة لتأصيل عقيدة الولاء والبراء في نفوس المؤمنين، خاصة أنها قد ضعفت وهزلت في نفوس كثير من الناس، فتأتي مدرسة الحج لتحيي قضية البراء من المشركين، فقد حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مخالفتهم خلال

(١) سورة الحج ٣٤.
(٢) سورة البقرة ٢٠٣.
(٣) سورة الحج ٣٦.
(٤) رواه مسلم
(٥) سورة التوبة ٣.

رحلة حجه، فقال للناس عن المشركين: «**هدينا مخالف هديهم**»[١].

«**لقد لبى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالتوحيد،** خلافاً للمشركين في تلبيتهم الشركية، وأفاض من عرفات مخالفـاً لقريش، حيث كانوا يفيضون من طرف الحرم، كما أفاض من عرفات بعد غروب الشمس مخالفاً أهل الشرك الذين يدفعون قبل غروبها.

ولما كان أهل الشرك يدفعون من المشعر الحرام «مزدلفة» بعد طلوع الشمس، فخالفهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدفع قبل أن تطلع الشمس. وأبطل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عوائـد الجاهلية ورسومها كما في خطبته في حجة الوداع، حيث قال: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»؛ يقول ابن تيمية: وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات، مثل: دعواهم يا لفلان، ويا لفلان، ومثل أعيادهم، وغير ذلك من أمورهم[٢].

ويقعّد ذلك الإمام ابن القيم فيقول: الشريعة قد استقرت ولاسيما في المناسك على قصد مخالفة المشركين .[٣]

❁ عاشراً: تربية النفس وترويضها على الصبر وتحمل المشاق :

من أظهر الدروس التي تتضح بجلاء في مدرسة الحج التربية على الصبر وتحمل المشاق في سبيل مرضاة الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٤] والصبر من خير ما يوفق له المؤمن، فعن

(١) رواه البيهقي والحاكم وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي
(٢) مجلة البيان العدد «٨٨» ذوالحجة ١٤١٥ - مايو ١٩٩٥
(٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود «٥ / ١٤٦ »
(٤) سورة البقرة ١٥٣.

أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر**»(١).

و قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجدنا خير عيشنا بالصبر وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو. (٢)

- **فالحج درس عملي في التربية على الصبر بجميع أنواعه:**

١) **الصبر على طاعة الله،** صبر على الطواف والسعي، وصبر على الوقوف بعرفة وصبر على المبيت بمزدلفة، وصبر على رمي الجمار، وصبر على لزوم الذكر والدعاء ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية. (٣)

٢) **الصبرعن معصية الله** فإن الحاج يمتنع عن بعض المباحات كاللباس والطيب ووطء الزوجة وحلق الشعر وقص الأظفار وبقية المحظورات، فصبره بعد ذلك عن معصية الله من باب أولى قال تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾(٤)

---

(١) رواه الخمسة

(٢) عدة الصابرين ص ٩٥

(٣) مدارج السالكين «٢/ ١٥٦ »

(٤) سورة البقرة ١٩٧.

٣) **الصبر على الأذى** فإن الحاج يواجه خلال رحلة حجه صوراً من الأذى بسبب جهل الناس واختلاف طبائعهم، وبسب كثرة الحجيج والزحام خلال أداء المناسك، كل ذلك تربية للحاج على الصبر وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ومن يتصبر يصبره الله**»(١).

٤) **الصبر في حمل دين الله والدعوة إليه،** فإن كثرة المخالفات الصادرة عن الحجاج وجهلهم بأحكام الشريعة، وسماعه لحديث الحجيج عن جهود المنصرين في بلاد المسلمين، وجهود دعاة التغريب، ودعاة البدعة والضلال، وصبرهم وجلدهم في نشر باطلهم، يدعوه ذلك إلى الشفقة على المسلمين، والصبر على تعليمهم ووعظهم، وتذكيرهم بالله ودعوتهم إليه، ولذا وجه الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾(٢): فالوصية بالصبر «هي الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة أو تثبيت. والصبر هو هذا الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة. معركة الدعوة إلى الله. المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات، وتدفعهم شياطين الأهواء! وهي معركة طويلة عنيفة لا زاد لها إلا الصبر الذي يقصد فيه وجه الله، ويتجه به إليه احتسابا عنده وحده»(٣).

٥) **الصبر على الفتن** خاصة في هذه الأزمان التي كثرت فيها الفتن، وتتابعت المحن، وأحاطت الرزايا بالإسلام والمسلمين من كل حدب وصوب، وتداعت الأمم على المسلمين تداعي الأكلة على قصعتها، مصداقاً لما أخبر به المصطفى

(١) رواه مسلم
(٢) سورة المدثر ٧.
(٣) في ظلال القرآن «٦/ ٣٧٥٥»

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحاج عندما يخالط إخوانه المسلمين ويستمع إلى أخبارهم وما يعصف بهم من محن، كل ذلك تربية له على الصبر على الفتن، ويدعوه ذلك إلى التمسك بدينه والقبض عليه كقبضه على الجمر، يدفعه للصبر ما أخبر به إمام الصابرين في الحديث الذي رواه أبو ثعلبة الخشني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «**إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قالوا يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم**»[1].

وهـذا زمـان الصبر مـن لـك بالتي ... كقبضٍ على جمر فتنجو من البلا
ولـو أن عينًا سـاعـدت لتوكفت ... سحائبها بـالـدمـع ديـمـًا وهطلا

❁ الحادي عشر: الثقة بنصر الله للإسلام والمسلمين:

مدرسة الحج تزرع في النفس الثقة بنصرة الدين والتمكين له، وأنه مهما طال ليل الكفر والباطل فإن فلق الصبح أوشك على الانبلاج، وما تجمع العدد الغفير من المسلمين في أيام الحج من كل فج عميق إلا بشارة بفجر جديد قريب لعز الإسلام والمسلمين، فعندما يرى الحاج وفد الحجيج حتى من البلاد التي تشن الحرب على الإسلام والمسلمين، وعندما يجالس وفود الحجيج فينقلون له تهافت الناس على الإسلام وتشوقهم إلى التعرف عليه، ويسردون أخبار التائبين والتائبات حتى في صفوف الفنانين والفنانات، تزداد ثقته ويقوى يقينه بنصر الله للإسلام والمسلمين وأن المستقبل لهذا الدين قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2]

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٢) سورة التوبة ٣٣.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(١).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»(٢).

فهذه النصوص بشائر بنصرة الإسلام وتمكينه، وأن الدولة عما قريب له بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، والتاريخ يشهد بذلك، والواقع المعاصر يتفجر عن ينابيع الهداية والصلاح في شتى بقاع الأرض معلناً أن المستقبل للإسلام

سنعود للدنيا نطبب جرحها ... سنعود للتكبير والتأذين
ستسير فلك الحق تحمل جنده ... وستنتهي للشاطئ المأمون
بالله مجراها ومرساها فهل ... تخشى الردى والله خير ضمين

❁ الثاني عشر: التربية على الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

فإن مدرسة الحج تربي الحاج على الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، **وهذا والله من أعظم وأجل ثمار الحج ومما يشحذ الهمة للدعوة إلى الله** عَزَّوَجَلَّ **في الحج أمور منها:**

١) ما يشاهده الحاج خلال رحلة الحج، من الجهل بأحكام الدين لدى كثير من الحجاج، وما يصدر عنهم من البدع والمخالفات، فيدعوه ذلك إلى دعوتهم وتبصيرهم بأمور دينهم.

---

(١) رواه أحمد

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني

٢) عندما يرى الجمع الغفير الذي قدم إلى الحج من شتى بقاع الأرض مقبلين على الله، مابين داع ومستغفر وركع وساجد ومتضرع، يعلم علم اليقين أن هذا الجمع إنما أقبل على الخير ووفد إلى الحج بفضل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فيدعوه ذلك إلى المساهمة في الدعوة إلى الله.

٣) ما ينقل إليه الحجاج من حاجة الناس إلى الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتلهفهم إلى الإسلام، ومعرفة أحكام الدين، وكثرة الداخلين في الإسلام والتائبين من المسلمين، فيحمله ذلك على محاسبة نفسه لتفريطه في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ .

٤) ما ينقله إليه الحجاج من جهود المنصرين لتنصير المسلمين وحرفهم عن دين الإسلام وما يبذلونه في سبيل ذلك من تضحية بالراحة والبعد عن الأهل والأولاد، والصبر على الغربة وتحمل المشاق في سبيل نشر دين باطل محرف، فيشعر بالتقصير في حق دينه ويعقد العزم على نصرته والدعوة إليه .

٥) تذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وما قام به من الدعوة إلى دين الله** عَزَّوَجَلَّ، وأن ما نحن فيه من إيمان وهداية إنما هو بفضل الله ثم بفضل دعوته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيدفعه ذلك إلى التأسي بالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، في حمل هم هذا الدين ونصرته.

فما بالك إذ علم بالثواب العظيم الذي للدعاة والمنزلة الرفيعة التي أنزلهم الله إياها قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1]

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى

(١) سورة فصلت ٣٣.

ما أجاب الله فيه من دعوته.

٦) **تذكره أن الدعوة إلى الله** عَزَّوَجَلَّ من أعظم الآثار التي تبقى للعبد بعد رحيله عن الحياة، فلو هدى الله على يديه حاجاً واحداً وعاد إلى بلده هادياً مهدياً فكم سينال من الأجور التي لا تنقطع، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ﴾ وهي آثار الخير ... التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، ... وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى اللّه والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك.[2]

أخي الحاج أما وقد عزمت على الدعوة إلى الله فإن خير الأماكن بهذه البداية المباركة هو الحج فاستثمر فضل المكان والزمان واضرب لك من الخير بسهم **فمجالات الخير كثر ومنها:**

١) **احرص على دعوة الناس إلى التوحيد** فإنهم في أمس الحاجة إليه، فإن العالم الإسلامي اليوم أحوج ما يكون إلى التوحيد الخالص، في زمن

---

(١) سورة يس ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٣ ـ

ضرب الشرك بأطنابه في كثير من بلاد المسلمين، فاحمل مشعل النجاة وساهم في إنقاذ من استطعت من براثن الشرك والوثنية والبدعة.

٢) **اجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** سجية لك والزم الرفق فإنه ما كان في شيء إلا زانه وما نزع منه إلا شانه.

٣) **نوِّع أساليب دعوتك** ما بين كلمة طيبة وخدمة وإحسان وبر وصدقة وتوزيع شريط وكتيب ورسالة وإعانة محتاج.

٤) **اقرن ذلك كله بدعاء صادق مخلص لله** عَزَّوَجَلَّ أن يوفق من دعوته إلى الهداية وأن يرزقك الإخلاص وأن يسدد خطوك.

❁ الثالث عشر: التربية على الأخلاق الفاضلة :

الحج مدرسة للتربية على الأخلاق الفاضلة من الحلم والعفو والصفح والتسامح والإيثار والرحمة والتعاون والإحسان والبذل والكرم والجود ... فهي رحلة تسفر عن أخلاق الرجال وتسهم إسهاماً عظيماً في تعديل السلوك السيئ إلى الحسن، فكم من حاج عاد من رحلة حجه بوجه غير الذي ذهب به كيف لا وهو يطمع أن يعود من حجه مغفور الذنوب فهتاف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يصاحبه في كل مناسكه: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

❁ الرابع عشر: الانضباط :

مدرسة الحج تربية للنفس على الانضباط: «إنك حين تتأمل المناسك ترى فيها دقة عجيبة، فأنت ترى المسلم يقف عند هذا المكان من حدود عرفة، فلو وقف هنا كان داخل عرفة، ولو تأخر متراً واحداً كان خارج عرفة، ولو وقف هنا

(١) رواه البخاري

نائماً أو صامتا لصح حجه، ولو وقف هناك وصار يدعو ويتضرع لم يصح حجه ما الفرق بين هذا المكان وذاك؟ تراه يرمي الجمرة الأولى قبل الثانية، وبعدها العقبة، ولو رمى تلك قبل هذه لم تصح ،تراه يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة ولو عكس لم يصح له الأمر، هذا اليوم يقف في عرفة، وفي الليل يبيت في مزدلفة وفي أيام التشريق يكون في منى لو رمى قبل الزوال بدقائق لكان رميه غير صحيح وكانت عبادته غير صحيحة، ولو رمى بعد الزوال لكان موافقاً للسنة، وهكذا في دفعه من عرفة وفي سائر المناسك تراها منضبطة بمكان أو وقت أو زمان أو هيئة معينة وهذا كله يربي في المسلم أن يكون منضبطاً في أوقاته وفي مواعيده».[1]

❁ الخامس عشر: تربية الجوارح على الكف عن المعاصي :

من أعظم ما يتربى عليه المسلم في الحج ضبط الجوارح وكفها عن ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[2] وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من حج ولم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه**».

فجوارح العبد في الحج تتربى على ترك الحرام والبعد عن الفسوق والآثام ومن أعظم ما يحدوها إلى ذلك ويعينها عليه ما يلي:

١) **الخوف من عدم قبول الحج** فإن الحاج يحرص أشد الحرص على قبول منسكه، ولذا فهو يجتنب كل ما يمكن أن يؤثر على ذلك المنسك، ويضع

(١) محاضرة للشيخ محمد الدويش بعنوان «لبيك اللهم لبيك»

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

دائما أمام ناظريه قول الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]

٢) **الطمع في تحقيق الثواب المترتب على الحج من مغفرة الذنوب ودخول الجنة،** فهو دائم الذكر لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حج ولم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه**» وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**».

٣) **أن جوارح العبد مشغولة بطاعة الله،** فاللسان مشغول بالذكر والتلبية والتهليل والدعاء، من بداية رحلة الحج إلى نهايتها وكذلك بقية الجوارح ما بين طواف وسعي ووقوف بالمشاعر ورمي للجمار ... ينتقل الحاج من منسك إلى منسك ومن طاعة إلى طاعة.

٤) **الرفقة الصالحة فهي من أعظم ما يعين الحاج على ضبط جوارحه** يذكرونه إذا نسي ويعلمونه إذا جهل ويقومونه إذا اعوج ولذا كان من أعظم ما ينبغي للحاج أن يحرص عليه خلال رحلته المباركة الرفقة الصالحة.

٥) تذكر حرمة الزمان والمكان، فالزمان هو الشهر الحرام شهر الحج والمكان هو البلد الحرام وكفى بذلك رادعاً للجوارح عما حرم الله.

❁ السادس عشر: القدرة على التغيير:

من دروس الحج أن الإنسان بإمكانه أن يخالف ما ألفه ويمتنع عما اعتاده من العادات السيئة فها هو الحاج يخالف أموراً كثيرة كان قد اعتادها في حياته اليومية فها هو يترك اللباس ويكتفي بالإزار والرداء ويمتنع عن الطيب وحلق

(١) سورة البقرة ١٩٧.

الشعر وقص الأظفار وغيرها من المحظورات طاعة لله عَزَّوَجَلَّ، وها هو يبيت في العراء ليلة مزدلفة قربة لله مفارقًا كل ما ألفه من الملبس والفراش الوثير.

ذلك دليل على أن المسلم يستطيع أن يغير من حاله وأنه لن يستسلم لأسر العادة.

❁ السابع عشر: التربية على محاسبة النفس:

مدرسة الحج تربي الحاج على محاسبة نفسه، فالحاج عندما يستشعر عظم الزمان والمكان ويرى بكاء الباكين وابتهال العابدين ودموع المنيبين، يدعوه ذلك كله إلى محاسبة نفسه، على تفريطها في جنب الله، فيكون ذلك بداية توبته وأوبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فما بالك إذا تذكر ما يفيضه الله على عباده في منسك الحج من وابل الرحمات وعظيم الهبات وتكفير الخطايا والسيئات عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: **كنت قاعدا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما، ثم قالا: يا رسول الله، جئنا نسألك فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت. فقالا: أخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله قال: جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف، وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة، وما لك فيه ووقوفك عشية عرفة، وما لك فيه، وعن رميك الجمار، وما لك فيه، وعن نحرك، وما لك فيه، وعن حلقك رأسك، وما لك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك، وما لك فيه مع الإفاضة فقال: والذي بعثك بالحق، عن هذا جئت أسألك. قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا، ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل**

وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرها، أو لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها كبيرة من الموبقات وأما نحرك فمذخور لك عند ربك وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف، ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى»[1].

فما أعظم مدرسة الحج حين تهب الحاج ميلاداً جديداً يفضل على ميلاده من بطن أمه، كيف لا وهو ميلاد الهداية والصلاح فطوبى ثم طوبى لمن تربى في مدرسة الحج فعاد من حجه مخلوقـًا آخر، عاد بقلب غير الذي خرج به، عاد بعزيمة على الرشد.

(١) رواه البزار والطبراني وقال الألباني: حسن لغيره

قبيل الرحيل من أرض الحجيج

من فضل الله ومنّته على عباده أن جعل لهم في أيام الدهر نفحات يتعرضون لها، يتاجرون فيها مع الله فيفيض عليهم ربهم من فضله وعظيم جوده وكرمه وبره وإحسانه، فيحصل لهم من الأجر الجزيل والخير العميم ما لا يحصيه إلا هو سبحانه، فطوبى ثم طوبى لمن تعرض لهذه النفحات وتلك الهبات فعن محمد بن مسلمة مرفوعًا: «**إن في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً**»(١).

الحاج في رحلة إيمانية، تعرض لنفحات الله وهباته، ولد فيها من جديد فعاد كيوم ولدته أمه ونقيت نفسه من الخبث وغفرت ذنوبه وزيدت حسناته وأفيض عليه وابل الرحمة والمغفرة إن شاء الله تعالى، وها هو بعد قد أوشك على الرحيل فما الذي ينبغي عليه في ختام هذه الرحلة المباركة.

- **هناك أمور ينبغي أن يحرص عليها الحاج قبيل الرحيل من أرض الحجيج منها:**

❁ أولاً / التوبة والاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾(٢)

لماذا أمروا بالاستغفار، أجاب على ذلك الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «وإنما أمروا بالاستغفار لأنهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الإجابة»(٣)

---

(١) روى الطبراني صحيح الجامع

(٢) سورة البقرة ١٩٩.

(٣) فتح القدير «١/ ٢٣٤»

ويذكر الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جانبًا آخر فيقول: «والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفًا عندهم وهو رمي الجمار وذبح الهدايا والطواف والسعي والمبيت بمنى ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك. ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق بالمقت ورد الفعل، كما أن الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال الخير»[١]

ومن تأمل نصوص الوحيين وكلام السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عن الاستغفار أدرك عظم هذه العبادة ولهج بها في هذه المواطن والأزمان الشريفة :

عن عبد الله بن بُسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طوبى لِمَن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**»[٢].

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقاتكم وفي أسواقكم ومجالسكم أينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.[٣]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢
(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني
(٣) جامع العلوم والحكم «٢/ ٤٠٨ »

الإصرار ويثبت معناه في الجنان وليس التلفظ بمجرد اللسان فمن استغفر بلسانه وقلبه مصر على معصية فاستغفاره يحتاج إلى استغفار.[١]

فينبغي للحاج في ختام حجه أن يلهج لله بالاستغفار يستشعر التقصير في حق الله عَزَّوَجَلَّ ويعلم أن من فضل الله عليه أن يوفقه للمداومة على الاستغفار.

أستغفر الله مما يعلمُ اللهُ ... إنَّ الشقيَّ لَمن لا يرحمُ اللهُ
مَا أحلمَ الله عمن لا يراقبه ... كلٌّ مسيء ولكن يحلم اللهُ
فاستغفر الله مما كان من زلل ... طوبى لِمَنْ كف عما يكرها اللهُ
طوبى لِمَن حسنت منه سريرته ... طوبى لِمَنْ ينتهي عما نهى الله[٢]

❁ ثانياً: الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾[٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، واختلفوا في معنى ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فقال عطاء والضحاك والربيع ابن أنس رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: كقول الصبي أبه أمّه يعني كما يلبث الصبي يذكر أبيه وأمه فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء المناسك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن «٤ / ٢١٠»
(٢) تطريز رياض الصالحين «١/ ٣٠١»
(٣) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠٢.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، والمقصود منه الحث على الذكر لله عَزَّوَجَلَّ [١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في تعليقه على الآية السابقة:** « ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله[٢]

و الحج إنما فرض لإقامة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»[٣].

وآخر أيام الحج أيام ذكر لله عَزَّوَجَلَّ ففي حديث نُبَيشَة الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله**»[٤].

فالموفق من استثمر هذه الأيام القلائل للإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فأشغل نفسه بالتكبير والتهليل والتحميد لله عَزَّوَجَلَّ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أهل مهل قط ولا كبر مكبر قط إلا بشر**» قيل يا رسول الله بالجنة قال: «**نعم**»[٥].

---

(١) تفيسر ابن كثير «١ / ٥٥٧ »

(٢) الوابل الصيب ص ٣٩

(٣) رواه الترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط.

(٤) صحيح مسلم.

(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني

❁ ثالثاً: الشكر لله:

ينبغي للحاج أن يستشعر نعمة الله عليه في توفيقه للحج وتيسيره له وهدايته لأداء المناسك فإنها من أعظم النعم التي يشكر عليها المولى عَزَّوَجَلَّ فما أعظم منته وجوده وكرمه على عبده إذ بلغه هذه البقاع التي تتشوق إليها كثير من النفوس وصدق الله إذ قال ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] «النحل:٥٣» وحين قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2] وأي نعمة تعدل أن يفوز العبد بزيارة بيت ربه فيقربه سبحانه ويدنيه ويفيض عليه من المغفرة والرحمات.

فينبغي للعبد أن يقابل هذا الفضل والعطاء بالشكر والثناء خاصة، فكيف إذا علمنا أنه يضاعف بالشكر المنن والعطايا ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[3]

قال أبو سليمان الداراني: استجلب زيادة النعم بالشكر واستدم النعم بخوف زوالها.

و قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن من تفكَّر في كثرة نعم الله وتفطَّن لآلاء الله الظاهرة والباطنة، وأنه لا وسيلة إليها إلا محض فضل الله وإحسانه، وأن جنساً من نعم الله لا يقدر العبد على إحصائه وتعداده، فضلاً عن جميع الأجناس، فضلاً عن شكرها فإنه يضطر إلى الاعتراف التام بالنعم وكثرة الثناء على الله.[4]

---

(١) سورة النحل ٥٣.
(٢) سورة النحل ١٨.
(٣) سورة إبراهيم ٧.
(٤) بهجة قلوب الأبرار ص ٥٥

ولذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اجعلني لك شكَّاراً لك ذكَّاراً اللهم اجعلني أُعظم شكرك وأُكثر ذكرك وأتَّبع نصحك وأحفظ وصيتك**»(١).

و أوصى معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «**لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٢).

والعبد مهما شكر الله وكرر الثناء عليه فهو عاجز عن شكر نعم الله عليه فكيف يوفيه الثناء والشكر وشكر العبد وثناؤه نعمة تحتاج إلى شكر، ولذا فقد اعترف أعظم الشاكرين بالعجز عن شكر نعم الله فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(٣).

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... و إن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... و إن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

❁ رابعاً: التربية على حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ والرجاء في مغفرته:

ينبغي للعبد إذا استفرغ جهده وبذل طاقته في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ واتباع هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعظم الرجاء في مغفرة الله وعفوه وفيض كرمه وجوده وإحسانه ونواله، فهو سبحانه عند ظن عبده به، عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أنا عند ظن عبدي**

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني
(٢) رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد وصححه الألباني
(٣) رواه مسلم

بي فليظن بي ما شاء»[١].

و عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٢].

وقد كان للسلف الصالح أحوال من الرجاء في مغفرة الله، فكان أبو عبيدة الخواص يقول في الموقف: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه، وكان بعد ما كبر يأخذ بلحيته ويقول: يا رب قد كبرت فأعتقني.

رؤي بعرفة وقد ولع به الوله وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على حمى الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه ... سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسى إن خلوت به ... في جوف ليلي وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي ... من لي سواك ومن أرجوه يا ذخر[٣]

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فالتفت إلي فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

---

(١) رواه أحمد والدارمي وصححه الألباني .
(٢) رواه الترمذي والإمام أحمد وصححه الألباني
(٣) لطائف المعارف لابن رجب «ص: ٢٨٧»

وروي عن الفضيل أنه نظر إلى نشيج الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقاً[١]، أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: واللهِ لَلْمَغْفِرَةُ عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.[٢]

❁ خامساً: الخوف من عدم القبول:

لقد كان الصالحون يشغلهم أمر قبول العمل، فما أن يفرغ أحدهم من عمل الطاعة أو يوشك على الفراغ منها إلا ووقع عليه هم قبولها من عدمه، فقد كانوا يهتمون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، يخافون من رده قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٣]

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه**»[٤].

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :كانوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل

---

(١) معنى دانق : سدس الدرهم
(٢) المصدر السابق
(٣) سورة المؤمنون ٦٠.
(٤) روه ابن ماجه وحسنه الألباني

ألم تسمعوا الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

و قال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟.

وقال شريح القاضي: الحاجّ قليل، والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقلّ الذين يريدون وجهه:

خليلي قطاع الفيافي الى الحمى ... كثيرٌ وأما الواصلون قليلُ
وجوه عليها للقبول علامةٌ ... وليس على كل الوجوه قبولُ

فينبغي لك أخي الحاج وأنت في نهاية رحلتك الإيمانية أن تجمع إلى حسن ظنك بالله عَزَّوَجَلَّ الخوف من عدم القبول، فتجمع بين الخوف والرجاء وتظهر من الافتقار والحاجة والرغبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ما يبلغك حاجتك.

❁ سادساً: الافتقار إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[2].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخاطب الله جميع الناس ويخبرهم بحالهم ووصفهم وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

- **فقراء في إيجادهم** فلولا إيجاده إياهم لم يوجدوا.
- **فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح** التي لولا إعداده إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

---

(١) سورة المائدة ٢٧.

(٢) سورة فاطر ١٥.

* **فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة** فلولا فضله وإحسانه وتيسير الأمور لما حصل لهم من الرزق والنِّعم شيء
* **فقراء في صرف النقم عنهم ودفع المكاره وإزالة الكروب والشدائد،** فلولا دفعه عنهم وتفريجه لكرباتهم وإزالته لعسرهم لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.
* **فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية وأجناس التدبير.**
* **فقراء إليه في تألههم له وحبهم له وتعبدهم وإخلاصهم العبادة له تعالى** فلو لم يوفقهم لذالك لهلكوا وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.
* **فقراء إليه في تعليمهم ما لا يعلمون وعملهم بما يصلحهم،** فلولا تعليمه لم يتعلموا، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه بكل معنى وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا ولكن الموفق منهم الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه ويتضرع له ويسأله ألا يكله إلى نفسه طرفة عين وأن يعينه على جميع أموره ويستصحب هذا في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.[1]

فحري بك أخي الحاج أنت في أشرف البقاع والأزمان وأعظم المناسك أن تُظهر حاجتك وتذللك وفقرك إلى الله جَلَّوَعَلَا فجموع الحجيج مفتقرة إلى الله مفتقرة إلى فضله وإنعامه، فما بهم من صحة وعافية وسعة في الرزق فمنه وحده، فهم مفتقرون إليه في دوامها ومزيدها، ومفتقرون إلى ما هو أعظم من ذلك من

(١) تيسر الكريم الرحمن ص٦٨٧

عفوه ومغفرته وبره وإحسانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه».[١]

ولتعلم أخي الحاج أن الافتقار إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإظهار الحاجة إليه والذل بين يديه من أقرب الطرق الموصلة إليه سبحانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عَزَّوَجَلَّ وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته[٢]

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيرا: ما لي شيء ولا مني شيء ولا فيَّ شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

أنا المكدى وابن المكدى وهكذا كان أبي وجدي

---

(١) مدارج السالكين «٢/ ٤٤١ »

(٢) الوابل الصيب ص ٧

وكان إذا أثنى عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا.

وبعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه :

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المُسيكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرات
ولا ظهير له كي استعين به ... كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتى
فمن بغى مطلبا من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه ... ما كان منه وما من بعد يأتي[1]

وقال بعض السلف: صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شيء.

فما أجمل أخي الحاج أن تختم حجك بالدخول على الله من باب الفقر فتغنى بفقرك إليه وتعز بذلك بين يديه.

قال سهل التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بين العبد وربه طريق أقرب إليه من الافتقار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان الفقر إلى الله سبحانه هو عين الغنى به فأفقر الناس إلى الله أغناهم به وأذلهم له أعزهم، وأضعفهم بين يديه أقواهم وأجهلهم

(١) مدارج السالكين «١/ ٥٢٠»

عند نفسه أعلمهم بالله وأمقتهم لنفسه أقربهم إلى مرضاة الله «[١]

و هكذا كان حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظهر الحاجة والفقر والمسكنة لله عَزَّوَجَلَّ في جميع أحواله وقد ظهر ذلك بجلاء في رحلة حجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**رأيت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يدعو بعرفة يده إلى صدره كاستطعام المسكين**»[٢].

❁ سابعاً: إتباع الحسنة الحسنة :

من الأمور المهمة المداومة على الطاعة وإتباع الحسنة بأخرى فما أحسن الحسنة تتبعها الحسنة قال أحد الصالحين: كان الصديقون يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس يشير إلى أنهم لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير.

وما أقبح السيئة بعد الحسنة قال بعض السلف: من علامة حب الله ورضاه عن الحاج أو المعتمر أن يواصل له الطاعة بالطاعة ومن علامة عدم قبول الطاعة أن تُتبع بالسيئة.

❁ ثامناً: استشعار المعاني والحكم التي استفادها من مدرسة الحج:

استشعار المعاني والحكم التي استفادها من مدرسة الحج التي مرت معنا ويستصحب هذه المعاني والدروس العظيمة في سائر حياته ليحقق الثمرة الحقيقية من شعيرة الحج.

---

(١) طريق الهجرتين ص ٣٣

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى

❁ تاسعاً: الدعاء:

ينبغي للحاج وهو في آخر أيام الحج أن يلهج إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء فقد قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾(١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الْعِبَادة الْدُعَاءُ**»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَأَلَ أَحدكم فَلْيُكْثِر، فإنّما يَسْأَلُ رَبَّهُ**»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ**»(٤).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»(٥).

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(٦).

---

(١) سورة غافر ٦٠
(٢) رواه الحاكم وهو حديثٌ حسن.
(٣) رواه ابن حبّان بسند صحيح
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) صحيح سنن الترمذي

فعليك أخي الحاج أن تكثر من الدعاء في ختام هذا المنسك العظيم ولتكثر من قول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١] لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾[٢]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا والآخرة وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنه ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل ... إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك رضوان الله ودخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام وقد وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[٣].

وسأل قتادة أنسًا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يقول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[٤].

---

(١) سورة البقرة ٢٠١

(٢) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠٢

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه الإمام احمد.

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيها. رواه مسلم [١]

وأن يكثر من سؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل الله منه حجه وأن يلهج إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته على الهداية والطاعة حتى يلقاه ويستعيذ بالله من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور والضلال بعد الهدى ويكثر من قول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**» ومن قول «**يا ولي الإسلام وأهله ثبتني عليه حتى ألقاك**» ومن قول «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**»[٢].

ومن قول: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**»[٣].

❁ عاشراً: التأدب بآداب العودة من السفر:

ينبغي للحاج وهو في آخر أيام الحج أن يتعرف على آداب العودة من السفر **كما في السنة النبوية ومنها:**

١) **التعجل في العودة وعدم إطالة المكوث لغير حاجة** لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه فإذا قضى نهمه فليعجل إلى أهله**».

---

(١) تفسير ابن كثير «١/ ٥٥٨»

(٢) رواه مسلم

(٣) صحيح سنن أبي داود

٢) **أن يقرأ دعاء السفر ويزيد في آخره** «**آيبون تائبون عابدون لربناحامدون**».

٣) **التكبير على كل شرف من الأرض** لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «**لا إله إلا الله لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده**»(١).

٤) **يسن للعائد من السفر إذا رأى بلدته أن يسرع بدابته أو سيارته** لما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أنه كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته وإن كانت دآبة حركها**»(٢).

ويستحب له إذا رأى بلدته من بعيد أن يقول: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» ويكرر ذلك لما جاء عن أنس بن مالك قال: «أقبلنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا وأبو طلحة وصفية رديفته على ناقته حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة(٣).

٥) **ألا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة** وذلك لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً**»(٤).

وهذا النهي لا يشمل من أخبر أهله بوصوله وأنه يقدم وقت كذا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم
(٢) رواه البخاري
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه البخاري

٦) **يستحب إذا قدم من سفره أن يتلقى بالولدان من أهل بيته** وذلك لما جاء من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كان النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا قدم من سفر تلقى بنا قال: فتلقى بي وبالحسن أو الحسين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه حتى دخل المدينة**»(١).

٧) **يستحب في حق من يستقبل المسافر أن يعانقه** لما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كانوا إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا**»(٢).

٨) **يستحب لمن قدم من سفر أن يتجه إلى المسجد قبل أن يذهب إلى بيته فيصلي فيه ركعتين** لحديث كعب بن مالك «**أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين**»(٣).

٩) **يشرع لمن دخل على أهله قادمًا من سفر أن يقول:** «**توبًا توبًا لربنا أوبًا لا يغادر حوبًا**»(٤).

١٠) **الهدية من المسافر:** الهدية أمر مشروع بين المسلمين وهي وسيلة من وسائل الود والتصافي وطريقة من طرق الإكرام والتفضل تبهج بها قلب الأم وتكسب بها رضى الأب وتدخل بها السرور على الزوجة وتطيب بها نفوس الأبناء والبنات ويدخل عليهم من الفرحة والبهجة والسرور ما لا يعلمه إلا الله ولهذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «**تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**»(٥).

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه الطبراني والبيهقي وحسنه الألباني
(٣) متفق عليه
(٤) رواه ابن السني وصححه الألباني
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد. وحسنه ابن حجر

وقد قال أبو العتاهيه :

هـدايـا الـنـاس بـعـضـهـم لبعض ... تـولـد في قـلـوبـهـم الـوصـالا
وتـزرع في الـقـلـوب هـدى ووداً ... وتكسوهم إذا حضروا جمالاً

وقال آخر:

إن الـهـديـة حـلـوة ... كـالـسـحـر تـجـتـذب الـقـلـوبـا
تـدني الـبـغـيـض مـن الـهـوى ... حـتـى تـصـيـره قـريـبـا
و تـعـيـد مـضـطـغـن الـعـداوة ... بـعـد نـفـرتـه حـبـيـبـا

ومن المعلوم أن الأهل والأولاد يرتقبون من أبيهم وقريبهم إذا قدم من سفر أن يقدم لهم شيئًا من الهدايا ولهذا ورد في المثل: إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا.

وقد ذكر أن أحد الحجاج عاد إلى أهله فلم يقدم لهم شيئًا فغضب واحد منهم وأنشد شعراً فقال:

كأن الحجيج اليوم لم يقربوا منى ... ولم يحملوا منها سواكًا ولانعلاً
أتـونـا فـمـا جـادوا بـعـود أراكـة ... ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلاً

فجميل بك أخي الحاج في ختام رحلتك الميمونة وسفرك المبارك أن تحمل إلى أهلك وأقاربك بعض الهدايا التي تدخل عليهم السرور وتزيد من فرحهم بقدومك وقد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ...»[1].

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

الخاتمة

ختاماً أخي الحاج اعلم أن الأعمال بالخواتيم وأن من أحسن فيما بقي غفر له ما سلف واحذر أن تعود إلى المعصية بعد أن تذوقت لذة الطاعة ولا ترجع إلى ارتضاع ثدي الهوى بعد الفطام، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه كما قال سبحانه ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾[1]

ودونك ما سطرته في الصفحات السابقة علّها أن تسهم في توفيقك لحسن الختام وهو جهد المذنب المقصر العبد الفقير ولا تنسنا من دعوة صالحة أسال الله العلي العظيم أن يختم لي ولك بالخاتمة الحسنة

اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أعمارنا أواخرها وخير أيامنا يوم نلقاك فيه اللهم ثبت قلوبنا على طاعتك يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا عليه حتى نلقاك وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) سورة الأنفال ٧٠.

الفهرس

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
غنائم الوفود	٨
ميلاد إلى الجنة	١٤
أشواق	٢١
مدرسة الحج	٣١
قبيل الرحيل من أرض الحجيج	٦٠
الخاتمة	٧٩

التصميم الداخلي للكتاب
للتواصل:
@abuhanyean
Tharwat Sultan
00201019530152
القاهرة - جمهورية مصر العربية
TharwatSultan@yahoo.com